# آفاق

• حوار

عبد الكريم غلاب :

# في الكتابة والتغيير والهوية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● حاوره :
□ عبد القادر الشاوي
□ نجيب خداري
□ عبد الحميد عقار
□ حسن بحراوي

## I. بيوغـرافيـا :

ولد الأستاذ عبد الكريم غلاب بفاس سنة 1919، تلقى تعليمه الأول في كلية القرويين، سافر إلى القاهرة وتخرج من كلية الآداب بجامعتها. كان في مصر عضوا في رابطة الدفاع عن مراكش ثم أمينا عاما لمؤتمر المغرب العربي الذي عقد سنة 1947 وعنه نشأ مكتب المغرب العربي الذي قاد الكفاح في سبيل استقلال المغرب والجزائر وتونس. ثم عاد إلى المغرب في أواخر 1948 فاشتغل بالصحافة والأدب. ترأس تحرير مجلة (رسالة المغرب) الثقافية الأسبوعية وعمل في جريدة العلم اليومية. ونظرا لنشاطه الوطني اعتقل عدة مرات. وهو أحد الأعضاء البارزين في حزب الاستقلال.

عاد إلى الصحافة بعد الاستقلال كرئيس تحرير لجريدة العلم، ثم عين وزيرا مفوضا في وزارة الخارجية مديرا لقسم الشرق من سنة 1956 إلى سنة 1959. استقال من منصبه وعاد إلى العمل الأدبي والصحفي. ومنذ سنة 1960 وهو يشغل منصب مدير ورئيس تحرير جريدة (العلم).

تخلى لمدة ثلاث سنوات عين فيها وزيرا في حكومة المغرب في سنوات 83 ــ 85.

بالاضافة إلى عمله كصحفي وكاتب فهو يستدعى إلى المؤتمرات الأدبية في العالم العربي والغربي. شغل عملا عن المؤسسات الآتية :

- رئيس اتحاد كتاب المغرب لمدة تسع سنوات
- نائب رئيس اتحاد الأدباء العرب
- الأمين العام للنقابة الوطنية للصحافة المغربية
- نائب الأمين العام لاتحاد الصحفيين العرب
- عضو في أكاديمية المملكة المغربية
- عضو مراسل في المجمع العلمي العراقي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يمتاز بغزارة الانتاج وخصوبة التفكير وأسلوبه السلس. كما يمتاز بعمق ودقة الرؤية. ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الانجليزية وترجمت رواية «دفنا الماضي» إلى الفرنسية ونشرت في المغرب ثم في باريس بمقدمة للمستشرق جاك بيرك كما نشرت عن رواياته دراسات جامعية في جامعة باليرمو (صقلية) ومع الدراسة ترجمة فصول من رواياته إلى الايطالية، كما نشرت عنه دراسات في المجلات الثقافية في الشرق والغرب./.

## II. الحـوار :

آفـاق : نرحب بالأستاذ الأديب عبد الكريم غلاب. ونأمل من هذا الحوار أن يتسم بالحميمية والتلقائية لعله يمكننا من الوقوف على بعض مكنونات عوالم الإبداع والثقافة لديكم، ولعله يساهم أيضاً في تعميق معرفة الأجيال الجديدة بالتحولات التي اجتازها المجتمع المغربي وخصوصا في المستويين الثقافي والأدبي. إن في ذلك تأكيدا على التواصل والتجدد في الاهتمام بتجدد أسئلتنا المشتركة. فمرحباً بكم في مجلة «**آفـاق**» وأنتم من مؤسسيها ومن الذين يدعمونها ويحرصون على استمراريتها.

**عبد الكريم غلاب** : شكراً للإخوة الذين تفضلوا بفتح هذا الحوار، أو بمواصلته على الأصح؛ فأنا سعيد بأن أستأنف هذا الحوار بعد أن بدأناه بمدينة فاس وقبل ذلك بالرباط ومراكش ★.

**آفـاق** : نودُّ، في البداية، أن نعيش معكم من جديد المناخ الذي واكب اتصالكم بالكتابة الإبداعية والأجواء العامة التي عاشها المغرب أو عايشتموها بالقاهرة وكانت بالنسبة لكم الحافز على أن تمارسوا، إلى جانب العمل الوطني، عملاً إبداعياً اتسم بالريادة وحافظ على الاستمرار والتواصل.

**عبد الكريم غلاب** : من الصعب جدا أن يرصد الكاتب أو المبدع مراحل الكتابة أو الإبداع لديه، ومن الصعب كذلك أن يقف وقفة تذكر ليرصد المناخ الذي دفعه إلى الكتابة، وفي ظني أن التساؤل الذي يقدَّم لمبدع ما، بهذه الصيغة، كالمطلب الذي يقدَّم لسبَّاح عمَّا هو المناخ الذي دفعه لأن يسبح.

على أن المناخ الذي يمكن أن أتذكره مع ذلك، هو الوضعية التي كانت تعيشها، وما تزال، بلادنا ابتداءً من الثلاثينات. ففي هذه المرحلة التي كنت فيها فتى يافعاً، كنت أحس بأن الوضعية التي تجتازها البلاد لا بد وأن تتغير، وأن هذا التغيير لا يمكن أن يحدثه السلاح فقط ولا السياسة فحسب؛ بل إن الممارسة الثقافية والإبداع الأدبي في طليعتها لا بد وأن تقوم بدورها الكامل. ومعنى هذا أن الإبداع لم يكن في رأيي ومنذ البداية للإبداع في نفسه، وإنما لتحريك السواكن وخلق حياة جديدة مغايرة للحياة التي كانت تحياها بلادنا آنئذ. ومعنى هذا أيضا أنني كنتُ أومن بأن القصيدة أو القصة أو المقالة رغم محدودية انتشارها، يمكن أن تفعل فعل القنبلة أو المدفع، فأحرى إذا كان هذا الإبداع مجسَّداً في كتاب ما.

طبعاً كانت آفاقنا محدودة، وما كنا نطمح في أن تكون لنا صحيفة تصدر كل صباح، وما كنا نطمح في أن تكون لنا كتب تصدر من حين لآخر، وما كنا نطمح في أن يكون لنا قراء مثلما هو الحال اليوم.. ولكن، كنا مع ذلك نؤمن بأن عملية الإبداع لا بد أن تقوم بدورها. لذلك **كان الإبداع** منذ اليوم الأول بالنسبة لي وبالنسبة لجيلي **هادفاً**. هذا هو المناخ العام الذي بدأتُ فيه العمل الإبداعي، والواقع أن هذا المناخ لم يتغير تغيراًجذريا. فما تزال هذه الأوضاع هي التي تدفعني باستمرار، رغم الإحباطات، لمزيد من الإيمان **بأن للكلمة دورها في معركة التغيير**.

**آفـاق** : ما دمنا بصدد البداية بودنا أن نسترجع معكم كتبا أو كتاباً ساهموا في دعم هذا المناخ من أجل أن تتجهوا نحو الكتابة الإبداعية.

**عبد الكريم غلاب** : ربما لم يكن هناك في ذلك الوقت خصوصيات أو «خصوصيون» ساهموا في توجيهي على وجه التحديد. ولكني أذكر بالطبع الكتب التي كانت تفد من المشرق وقد كان كتابها معروفين من أمثال طه حسين، وأحمد أمين، وتوفيق الحكيم، وأحمد حسن الزيات، إلى غير هؤلاء من الباحثين والمبدعين. غير أني أذكر بلأخص المبدعين، أو لنقل الأساتذة الموجهين الذين كان لهم فضل كبير جداً على جيلي من المثقفين بالمغرب، وفي مقدمة أولائك الأساتذة علال الفاسي. فعلال الفاسي كان أستاذاً. لنا لكنه لم يكن كذلك بالمعنى التقليدي، أي يلقي الدرس ثم نفترق، ولكنه كان أكثر من أستاذ، لقد كان أباً وصديقاً ومرافقا، وما كنا نفارقه إلا في حصص الدراسة مع غيره أو في الأوقات الخاصة، ففضله علينا لذلك كبير جدا وبخاصة في مستوى التوجيه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**آفـــاق** : جل الباحثين والنقاد الذين اهتموا بالجانب الإبداعي لدى عبد الكريم غلاب انطلقوا في كتاباتهم من اعتبار أن ابداعه ينتمي إلى ما قبل الاستقلال. لكن هناك رأيا مخالفاً، وقد عبر عنه الأخ عبد الجبار السحيمي في إحدى الندوات، ويتلخص في أن إبداع غلاب انطلاقاً من «سبعة أبواب» فما تلاها هوولود مرحلة ما بعد الاستقلال، وأن الذين مثلوا الإبداع السردي في مغرب ما قبل الاستقلال هو بوجه الخصوص : **أحمد بناني، وعبد الرحمن الفاسي، وعبد العزيز بن عبد الله؛** فأين تضع، من الوجهة الثقافية، منطلقات عملك الإبداعي ؟.

**عبد الكريم غلاب** : في الواقع، تعود هذه القضية إلى التأريخ الزمني، وأنا بطبعي أنفر من هذه العملية، لأن القضية ليست قضية ميلاد بل استمرارية. ومن الجائز أن البداية المادية كانت قبل الاستقلال، غير أن الانطلاق كان بعد الاستقلال. يمكن أن أعود ببعض كتاباتي الإبداعية إلى مرحلة أواخر الثلاثينات، من الجائز أن آخذ تلك الإبداعات وأرمي بها في سلة المهملات، ولن أكون ظالما لها في الحقيقة. ويمكن أيضا أن أحتفظ بها كما يحتفظ الإنسان بتراث قديم. ومعنى هذا كذلك أن القضية ليست قضية بداية زمنية، بل هي قضية البداية الإبداعية. وهذا لا أستطيع تقويمه، وأترك ذلك للآخرين كل حسب اتجاهه.

**آفـــاق** : لكم تجربة طويلة في ميادين الأدب والفكر والسياسة. هذه التجربة ربما تمتد أربعة عقود من الزمن أو يزيد؛ وجرت العادة أن الكثيرين من الأدباء والمفكرين ورجالات السياسة كتبوا سيرهم الذاتية. بودي أن أسألكم هنا، خصوصا وقد تجاوزتم العقد السابع من عمركم، هل كتبتم في الموضوع أم هل أنتم بصدد ذلك ؟. وبعارة : لماذا لم تؤرخوا **لأناكم** في المستوى الأدبي والفكري والسياسي ؟.

**عبد الكريم غلاب** : لا أكتمكم أن كثيراً من الإخوة والأصدقاء داخل المغرب وخارجه وضعوا علي هذا السؤال بالذات. والواقع أنني حينما أعود إلى نفسي وأطرح عليها نفس السؤال أجد الجواب عنه في طبيعتي الخاصة؛ فأنا، واسمحوا لي أن أتكلم هكذا، حَيِيٌّ مع نفسي، ولا أجرؤ أن أتحدث عنها إلى آخرين بحكم هذا الطبع. ولا أخفيكم، مع ذلك، أنني بدأت المحاولة أكثر من مرة، فاكتشفت أنني إنما أعبث، أو أنني إنما أقوم بعمل لا يجب عليَّ أن أقوم به ؛ ولذلك كنت أتخلى عن ذلك وأترك الكتابة عن ذاتي، ولهذا فمن الصعب جداً أن أواصل ما لا أرغب في مواصلته. ولو حاولت لكنت مُحرَجاً، لأنني ربما قد لا أُوفَّق، أو لأنني سأكون دعيّاً في موضوع ليس لي. ودائماً أتساءل : هل أترك هذا للآخرين، لما بعد الموت مثلا ؟. وعندئذ، أليست هناك أشياء مع أنها جزء من تجربة الكاتب لا تستحق أن يكتب عنها الإنسان، ولا يمكن أن يرفضها أو يميزها من غيرها إلا الكاتب نفسه ؟. الحقيقة إنني قرأت كثيراً من الأعمال الأدبية لها النفَس الذاتي أو الشخصي، وراقتني في الغالب، لكني ما أزال أتهيَّب من الموضوع، وربما وُفِّقت في تجاوز هذا التهيُّب إذا امتد بي العمر مستقبلا.

**آفـــاق** : إنني أطرح القضية مرة أخرى في سياق محدد، وهو ما يمكن أن أبلوره في هذا السؤال : ألا ترون أنكم مطالبون، بحكم الدور المتنوع الذي قمتم به وهو دور متشابك مع مجالات مختلفة، بواجب يفرض عليكم هذا النوع من الكتابة ؟. ولعلكم قرأتم كتابات من هذا القبيل لأحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمين (حياتي)، والعقاد (أنا) وطه حسين (الأيام) وغير ذلك من الأعمال، ويمكن القول بأن هذه السير لم تؤرخ فقط للذوات الخاصة، بل ولمستويات مختلفة من الوجود الذاتي في سياقات ومناخات تتجاوزها. ويظهر من هذه الأعمال أن التأريخ للحياة الشخصية هو بمعنى ما تأريخ لمرحلة.. إلخ.

**عبد الكريم غلاب** : إنه واجب مفروض بدون شك. وقد ذكرت لكم تلك المحاولات التي بدأتها وتخليت عنها. يضاف إلى ذلك أن العمل بهذا الواجب يقود في الحقيقة إلى حيرة. إذ كيف أختار مثلا بين اتجاه أحمد أمين في بساطته وسذاجته، وبين اتجاه العقاد في عقلانيته وحكائيته، وبين اتجاه طه حسين بفنيته وإبداعه. وقد راقني في مرحلة ذلك الاتجاه الذي اختاره زكي نجيب محمود لنفسه حين أرّخ في الحقيقة لعقله جريا على عادة المؤرخين الذين اهتموا بالتأريخ لحيواتهم. فهذا اتجاه طيب ورائع، لكنه ليس سهلا؛ فبفعله قد التقط زكي نجيب محمود محطات أساسية في تكونه العقلي والفكري وفي صراعه مع الآخرين. لذلك فهذا الاتجاه يمثل نوعاً من السيرة الذاتية لا يقدر على بلوغه إلا من أوتي نظرة شمولية لموقع وجوده في مجرى تكوُّنه التاريخي والثقافي.

**آفـــاق** : تنويعاً على السؤال نفسه أطرح عليكم ما يلي : قلَّما نعثر فيما كتبتموه إبداعاً على ما يتصل بمرحلة وجودكم بالقاهرة وهي مرحلة خصبة فيما نعلم سياسيا وثقافيا. فهل لكم أن تستحضروا الآن بعضاً من آثارها ؟.

**عبد الكريم غلاب** : إن الحديث عن هذا الموضوع طويل طول المدة التي قضيتها في القاهرة، والمدة ليست طويلة فحسب ولكنها عريضة كذلك.. إذ أنها بلغت 11 سنة وبضعة أشهر، وربما كانت هذه الفترة من أخصب الفترات الحافلة بالأحداث والتغيرات والانقلابات الفكرية والحياتية التي حدثت في مصر وفي الوطن العربي بأجمعه. فقد نزلت في القاهرة في وقت كانت فيه الرياح رقاقاً والجو لطيفاً والحياة السياسية عادية والظروف بسيطة تقريبا. لقد كان وصولي إلى القاهرة في أكتوبر 1937، وسرعان ما انفجرت في المغرب الأحداث المعروفة عام 1937 في أوائل شهر نوفمبر. وهي أحداث كانت متوقعة لأنني كنت أعرف الجو الذي كان يغلي في المغرب على عهد الجنرال (نوغس) Noguès بعد أن قرر، مع نفسه، القضاء على الحركة الوطنية. وأذكر أن من الأسباب التي دفعتني أن أسهّل مأمورية خروجي من المغرب في ذلك الوقت، وخصوصاً وأنني كنت في مقتبل العمر بدون أية مؤهلات ولم يسبق لي أن غادرت المغرب إلا إلى وهران بالجزائر، هي طبيعة الظروف السياسية الموجودة آنذاك في المغرب حيث تعرض جيلي كله للاعتقال. أضف إلى ذلك ما أصابني من اعتقال قبل هذا الوقت (أي عام 1936) فكان في ذلك ما أقنع والدي بوجوب خروجي من المغرب إشفاقا عليَّ من اعتقال آخر.

وأذكر بهذه المناسبة أيضاً أنني التقيت وأنا في طريقي إلى القاهرة بالأخ أحمد بلا فريج في باريس وكان إذاك مبعوثاً للحركة الوطنية، فوضع عليَّ سؤالاً محرجاً لم أكن في مستوى الجواب عنه : كيف ترى الوضعية السياسية في المغرب وماذا تتوقع ؟ فقلت له بالبداهة : لا أتوقع إلا العنف، وكذلك حدث كمّا ذكرت لكم في أوائل نوفمبر.

وعندما وصلت إلى القاهرة كان الجو السياسي والأدبي جواً لطيفاً ومثالياً، مع وجود صراعات مختلفة فجرتها معاهدة الاستقلال عام 1936. وقد أثار انتباهي أن معارضة هذه المعاهدة كانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قوية، مع أن هؤلاء المعارضين كانوا من المتهاونين في الصراع الوطني، ومع العلم أن هذه المعاهدة أمضاها (الوفد) وهو يومئذ في السلطة وكان هو الحزب الوطني الأقوى. والواقع أننا وجدنا في هذا الجو إرضاءً لما كنا نطمح إليه من حوار وصراع، بالنظر إلى ما تركناه وراءنا بالمغرب من قمع وإرهاب. ومن أهم ما كنا نحضره، رغم حدود وعينا السياسي في ذلك الوقت، هو المهرجانات السياسية التي كانت تقام في القاهرة من هذا الجانب أو ذاك، لأنها كشفت لنا عن جو الحرية الذي كانت تنعم به مصر في ظل الصراع والتنافس. ثم كان هنا جانب آخر من حرية الفكر السياسي ويتمثل في الصحافة بحكم ما كانت تلعبه من أدوار. فقد كانت متحررة لأقصى حد في نطاق اتجاهاتها المتعارضة، فضلا عن مساهمة أقلام مبرَّزة في إدارة الصراع وتوجيهه من أمثال **المازني والعقاد وطه حسين**. وقد ساهم هذا الجانب في إرضاء تطلعنا إلى ما كنا نطمح إليه بالمغرب. يضاف إلى ذلك بصفة خاصة ذلك الجو السائد في الجامعة المصرية ليس من الناحية العلمية فحسب، بل وأيضا من حيث الصراع الثقافي والمناقشات وماشاكل ذلك من ألوان التعدد والاختلاف. مما أثار انتباهنا في تلك المرحلة وأخذ باهتمامنا واقع التسيُّس الطلابي بما يخترقه من صراعات ومناقشات حامية وقد استفدنا كثيرا من هذا المناخ ثقافياً وسياسياً ونضالياً.

**آفـــاق** : نعلم أن الفترة التي قضيتموها بمصر كانت تموج وتمور بالكثير من تيارات الفكر والسياسة من عروبية قومية وعلمانية وإسلامية وشيوعية وسوى ذلك. فهل يمكن الحديث عن ميلكم الخاص والواضح إلى تيار منها ؟. وبعبارة : كيف تفاعلتم مع هذا الوضع المصطرع ؟ وهل أثر فيكم ؟. ثم ألا يمكن العثور على بعد من أبعاد التفكير «الإخواني» في بعض كتاباتكم، خصوصاً وأننا نعلم، ولو في فترة لاحقة، ارتباط بعض أفراد الحركة الوطنية المتواجدين في القاهرة بجمعيات من هذا الاتجاه مثل «الشبان المسلمين» مثلا ؟.

**عبد الكريم غلاب** : إن أجواء الصراع التي تشيرون إليها لم تظهر في البداية، أي في بداية مرحلة وجودي بالقاهرة؛ لقد برزت في أواخر الحرب العالمية الثانية، إلا أننا كنا نتتبع تلك الصراعات بكامل الاهتمام رغم أن الكثير منها كان يتخذ التقية أسلوبا، خاصة وأن الظروف المحيطة كانت ظروف حرب، يضاف إلى ذلك أن الإنجليز كانوا يسيطرون على الحكم سيطرة مطلقة، وما كانوا ليسمحوا لأي تيار بالظهور، هذا فضلا عن أن العهد الملكي في مصر كان متشدداً نوعاً ما. والحق أن حركة «الإخوان المسلمين» برزت بروزاً واضحاً في هذا الوقت بالذات، بالإضافة إلى وجود جمعية «**الشبان المسلمين**» التي لم يكن لها أي تأثير فكري مطلقا بحكم محدودية أفقها وضعف عملها ووجود تيارات أخرى بحضور أقوى مما كانت عليه جميعة «الشبان...». فمختلف هذه التيارات كانت ذات فاعلية في تفكيرنا، غير أننا لم نتخذ منها أو من إحداها حالة معينة، ولم نكن منتمين إليها. ومع أننا كنا على صلة بـ «الإخوان المسلمين» فإن هذه الصلة كانت وطنية، إذ كنا نلجأ إليهم عندما يؤيدون عملنا الوطني أو يطالبون معنا بالاستقلال.

**آفـــاق** : لعل السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بصدد هذا الوضع يخص طبيعة الحركة الثقافية بالمغرب خلال هذه الفترة : هل كانت تصلكم أصداؤها، وهل كنتم على صلة ما بها ؟.

**عبد الكريم غلاب** : لقد تركت المغرب في فترة عصيبة سنة 1937؛ وفي هذه الفترة بالذات

كان الاتصال بين المشرق والمغرب منعدماً، إذ لم يكن يصلنا أي شيء بتاتا مما يحدث بالمغرب بما في ذلك الرسائل والبرقيات. ومن طريف ما أذكر أننا قرأنا في جريدة «**المقطم**» يوم اندلعت أحداث المطالبة بالاستقلال سنة **1944** خبراً صغيراً على نحو غريب من الإثارة. ذلك أن الخبر تحدث عن وجود اضطرابات وقعت بالمغرب قادها مدرس في المدرسة الابتدائية، وأن هذه الحركة قامت تطالب بالكسكس الذي أصبح ناقصا بالمغرب. لكننا قرأنا مع ذلك هذا الخبر ــ البرقية كما ينبغي. فقد أدركنا أن المعلم هو **أحمد بلا فريج** وأن **الكسكس** هو الاستقلال. وكنا آنذاك في رابطة الدفاع عن المغرب قد قدمنا مذكرة للسفارة الفرنسية وغيرها من السفارات (الإنجليزية والأمريكية والسوفييتية) وكذا إلى الحكومة المصرية نطالب فيها باستقلال المغرب، وكان ذلك بالضبط في أوائل يناير **1944**، ونشر الخبر عن المذكرة يوم **13** من الشهر نفسه دون أن يكون هناك أدنى تنسيق ولا صلة مع قادة الحركة بالمغرب. ومن المفارقات أن إخواننا بالمغرب، كما علمنا فيما بعد، كانوا يُعذَّبون عذاباً شديداً لاعتقاد الفرنسيين بأنهم هم الذين أبلغونا بخبر المطالبة بالاستقلال. ومعنى هذا أننا كنا بمصر في عزلة تامة عما يجري بالمغرب. بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت الرسائل تصلنا، وعادت الصلة تدريجيا بيننا وبين الوضع في البلاد.

**آفــاق** : قبل أن نعود إلى المجال الإبداعي، بودنا أن نتطرق إلى موضوع نعتبره راهنا باستمرار، وهو يتصل بتجدد حضور الموضوع الفرانكفوني بالمغرب. إذ الملاحظ أن هناك شبه إجماع على ضرورة الوقوف في وجه العودة المجددة للفرانكفونية وينبني هذا الرفض على كون النزوع الفرانكفوني له تأثير قوي على الثقافة الوطنية. فكيف تتصورون أخطار هذا الوضع، أو ما هي أكثر تلك الأخطار تأثيراً من الناحية السلبية ؟.

**عبد الكريم غلاب** : إن عودة الفرانكفونية، أو تجدد عودتها، عن طريق التعليم والإدارة والحياة العامة وعن طريق المذهب (لها روادها والمدافعون عنها ومؤتمراتها.. الخ) هو خطر على الهوية المغربية وعلى مستقبل الثقافة بالمغرب، لماذا ؟ لأنني أعتقد، وآمل الا أكون مخطئاً، أن الهوية هي من أسس الثقافة، بحيث لا يمكن أن تكون هناك ثقافة بدون هوية ولا يرتبط الأمر بكون دعاة الفرانكفونية أو العاملين في حقلها يتكلمون اللغة الفرنسية أو يستعملونها في الإدارة والحياة العامة أو يكتبون بها كتابات إبداعية أو تاريخية، بل لأنهم يسلبون الثقافة المغربية أو القومية، هويتها المتمثلة في اللغة، واللغة في اعتقادي ليست أداة للثقافة بل جزء منها، لأن اللغة ذات حمولة تاريخية، وهي تربط الماضي بالحاضر وتقودنا إلى المستقبل، ثم هي تعطي للثقافة الوطنية تميزاً خاصاً. ولذلك فإن مستقبلنا كشعب متميز لا يمكن أن يقوم بغير اللغة العربية. ولا أحتاج أن أقول هنا إن مواجهتنا للفرانكفونية ليست مواجهة للثقافات المتفتحة، ولا هو ضد اللغات، ولا ضد أي تفتح فكري وثقافي وعقلاني .. ولكن لكي نتفتح فلا بد أن نكون أولاً والقضية بالنسبة لي في النهاية ليست قضية ذاتية بالطبع ولا قضية مقاومة الاستعمار، بل هي قضية تمسُّك بالهوية المعتدى عليها.

**آفــاق** : في ارتباط مع الموضوع نفسه، نلاحظ أنه من آثار السيطرة الفرانكفونية على المغرب أنه عاش تحت تأثير الازدواجية مدة طويلة، حيث تتجاور في سياقها عدة ثنائيات تتوازن أحيانا، وتختل علاقاتها أحياناً أخرى، لكنها تحافظ لحد الآن على نوع من التعايش والتساكن.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والازدواجية من هذا المنظور لا تتعلق باللغة فحسب، بل بمحمولات هذه اللغة ذاتها، وبالمواقف وأنماط السلوك؛ ألا ترون أن هذه الازدواجية مثّلت، ضمن عوامل أخرى بالطبع، عنصر «توازن» جنَّب المغرب إلى هذا الحد أو ذاك مظاهر التطرف والانغلاق في الصراع الفكري والثقافي والسياسي بالمقارنة مع الوضع في الجزائر وتونس مثلا ؟.

**عبد الكريم غلاب** : ولكن هل تجنب هذه الصراعات هو عمل إيجابي ؟. على العكس من ذلك فإنني أعتقد أن كل صراع هو عمل إيجابي. وشخصياً لا أتصور أن الازدواجية جنَّبتنا شيئاً ما، وبالعكس، فالازدواجية موجودة بالجزائر وتونس، ولا اختلاف بين البلدان المغاربية على هذا الصعيد إلا في المظهر العام.

**آفـــاق** : بالتأكيد الصراع ضروري إن لم يكن حتميا لتقدم الشعوب والمجتمعات ولضمان حيويتهما. لكن الملاحظة أعلاه تتعلق بأشكال الصراع وأساليبه والغاية منه كذلك، وبعبارة أخرى يتعلق الأمر باستحضار مجمل العوامل التي تكيِّف الفعلَ وردَّ الفعل في حقبة تاريخية محددة، وهنا أفكر بالأساس في تجربة بورقيبة وموقفه ونمط سلوكه تجاه التراث والتقاليد، فلا شك أن العنف الذي تصرَّف به في هذا المستوى يوجد في أصل العنف والحدة اللذين يميزان الصراع المجتمعي في تونس في الوقت الراهن باسم الإسلام تارة، وضداً على البورقيبية ومخلفاتها تارة أخرى. وأفكر ثانية في سيرورة الصراع بالجزائر بعد رحيل بومدين إن هناك عودة عنيفة وحادة نحو التراث والتقاليد من حيث هي نوع من رد الفعل ضد مرحلة بومدين التي تميزت هي الأخرى بشيء من التشدُّد تجاه الماضي. وفي المثالين معاً نلاحظ وجودَ تَطَرُّفٍ في تَسْيِيسِ الدين ضدّاً على ما اعتُبر «تجاهلا» للدين أو «تهميشاً» له في السابق، واستغلالا لما تعيشه أغلبية المجتمع من فقر وحرمان وقهر وما يسود فيها من جهل وأمية.

**عبد الكريم غلاب** : ربما لم أفهم السؤال جيداً. لكن : هل نحن بالمغرب بعيدون عن هذا الصراع ؟. والواقع أن هناك مرحلة عربية إسلامية عامة، وليست ظروفاً خاصة بالمغرب ولا بالمغرب العربي ككل. **إنها مرحلة ما بعد الحيرة**. فقد عاش العالم العربي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في جحيم **اللاَّ تَوَجُّه**، وفي جحيم **الفقر الثقافي وقصر البعد الفكري عن التعامل مع التطورات** الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية. والحاكمون أنفسهم كانوا قاصرين عن أن يعوا مسؤوليتهم في هذا المجال. والديموقراطية التي كان بامكانها أن تفرز شريحة واعية بالمسؤولية يمكن أن تتحمل مسؤولية القرار كانت منعدمة. وفي جو العدمية والفراغ هذا لا تستغرب هذه التناقضات الفكرية والإيديولوجية و«الممارساتية». وما حدث ويحدث في مصر منذ نهاية الحرب، وبالأخص منذ هزيمة 1948 في فلسطين، تكرر في سوريا والعراق والسودان، ويتكرر في المغرب العربي، ولو أن الأمر يأخذ طابعاً له خصوصياته في كل بلد من هذه البلدان؛ ثم إنه لا أحد في هذا الوطن العربي كان يدرك موقعه من العالم؛ وكانت الحيرة الكبيرة جداً بين التطرف اليساري والتطرف اليميني في الحكم أو في الممارسات الفكرية والثقافية، مع سيادة تيارات متعارضة لا تستند إلى رصيد ثقافي، وينقصها التوجه ووضوح الطريق. لذلك ساد الضلال. وكان لا بد أن يحدث نوع من الحِدَّة في التوجهات يميناً ويساراً. والحِدَّة الحاصلة الآن تعود في نظري إلى نقص في الثقافة وانحلال المجتمع وتدني مستوى عيش الناس. فالمجتمع الذي ينقصه كل ذلك يفتقد فيه المنطق والتفكير والعمل العقلاني. ومع ذلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهي موجة أو مرحلة لا يجب أن تقلقنا. نعم، هي مرحلة جاءت بها بعض التصرفات : فالبورقيبية مثلا كانت مرحلة هوجاء. وبورقيبة في الواقع كان رجلا مجازفاً. صحيح إنه صديقي وأكن له المحبة، لكن لا ينبغي أن ننسى أن الرجل حكم تونس مدة طويلة من الزمن، ورغم ذلك كان يعتقد أنه يصنع تونس كما يريد، ولم يكن يعرف «قدر» ما يريد، ولم يكن يعرف عمق الشعب التونسي وقدرته، الصامتة أحياناً، على الرفض والمقاومة، ورغبته في أن يكون له رأي، وأن يبدي هذا الرأي ويتعصب له، رغم أن المستوى الثقافي والفكري العام دون ما يمكن أن يخيف. ولكن لضعف هذا المستوى خطورة توازي خطورة قوته. إنه الاندفاع في رد الفعل أو الاندفاع في إرادة التغيير الذي يعقب انهيار سلطة قمعية، تستوي في ذلك الجزائر وتونس، وسواء كانت سلطة بورقيبية بمفهومه للسلطة، أو سلطة بوميدينية بمهومه أيضا للسلطة. وكان بورقيبة إلى جانب ذلك يعاني من عقد نفسية خطيرة في مقدمتها عقدة العظمة، ومع ذلك فالذي يجب تسجيله هو جهل النظم القائمة في التعامل مع هذه الموجة بمشرق الوطن العربي ومغربه. وهذا الجهل هو الذي ولّد الصدام.

**آفـــاق** : هل يصح القول بأن معالجة هذه الأنواع من التطرف لا يمكن أن يتم إلا بسن الاختيار الديموقراطي ؟.

**عبد الكريم غلاب** : الديوقراطية طريق. ولا بد من انصرام وقت طويل حتى نتأكد من نجاعة الحل المرتبط بسيادتها، أوروبا نفسها عاشت فترة طويلة من الزمن في حروب طاحنة. وآفتنا الكبرى أننا لا نستفيد كثيراً من التاريخ، ولا من تجارب الآخرين، وحينما تهتدي هذه البلاد، بعد عمر طويل إن شاء الله، إلى الديموقراطية ستحتاج إلى وقت طويل أيضا لتفعل الديموقراطية فعلها على غرار ما يحتاجه جسم المريض من وقت ليتأثر بالدواء ويفعل فعله الجيد. فالديموقراطية ليست دواء عين أو «أسبرين» يخفف من وجع الرأس في لحظات بعد تناوله. ولكنها علاج يحتاج إلى أمد طويل حتى يفعل فعله.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**آفـــاق** : يلاحظ أن الأستاذ غلاب له اهتمامات متعددة منذ زمن بعيد. فقد كتب في الرواية والقصة القصيرة، وله تجربة في النقد الأدبي وهو رجل فكر وسياسة أيضا. فكيف توفقون من جهة بين هذه المنازع المتداخلة والمتباعدة في نفس الوقت ؟. وأين تجدون أنفسكم بصفة حقيقية ؟. وما هو المجال الذي تعتقدون أنكم أعطيتم فيه ما يجب إعطاؤه ؟.

**عبد الكريم غلاب** : إن التعدد في عمقه متجانس بالنسبة إلي، فكتابة الرواية أو كتابة مقال سياسي أو كتاب عن الاستقلالية أو التعادلية شيء واحد في الجوهر في تجربتي الشخصية مع الكتابة والعمل، يبقى أن الفكرة والأسلوب وكل ما يوظفه الكاتب فب كتابة بحث سياسي هي غير الفكرة وغير الأسلوب الذي يوظفه في كتابة عمل إبداعي، ولهذا فالعملية بالنسبة إلي تخص الوقت، إذ عادة ما أكتب الرواية مثلا في أوقات الفراغ، أي في أوقات أخصصها حصراً للرواية، فلا أكتب فيها أي شيء آخر، أما الكتابات الأخرى فتتجاور عندي مع العمل اليومي. ومعنى هذا أنني التزم بمرحلة إبداعية لا أقترب فيها من السياسي، والمرحلة السياسية لا أشتغل فيها بما هو إبداع.

**آفـــاق** : عندما نعيد قراءة «دفنا الماضي» يستوقفنا تاريخ صدورها في طبعتها الأولى. هذا التاريخ إذا لم يكن مؤشّراً على عالم الكتابة فهو مؤشّر على عالم القراءة والتداول لما يتيحه من تأويل،

أفلا يمكن أن نربط بين تاريخ صدور الرواية سنة 1966 وبين حالة الاستثناء التي فرضت على المغرب قبل ذلك بقليل ؟. ألا تمثل «**دفنا الماضي**»، وهي الرواية الأولى التي تصدر بالعربية في المغرب، نوعاً من التحدي الشعوري أو الوجداني لما فُرض على الحركة الوطنية في «الحاضر» من قيود ؟. ألا يمكن أن نرى في عملية استرجاع الماضي القريب، ماضي الحركة الوطنية، جواباً إبداعياً من المثقف الوطني على ظرفية سياسية ؟.

**عبد الكريم غلاب** : «**دفنا الماضي**» في الواقع كتبتها في بداية الستينات وقبل حالة الاستثناء، ولو كنت ناقداً لقلت **إنها نتيجة إحباط**. فقد عشنا في بداية الاستقلال كأطفال، وكنا نعتقد أن كل شيء قد تحقق، لكن سرعان ما بدأت الصورة تتغير أو تأخذ شكلها الطبيعي، أي أننا بدأنا ندرك الأشياء على حقيقتها، وهو ما ركبَّ في نفوسنا غير قليل من الإحباط، وكانت استجابة لتحدي هذا الإحباط.

**آفـــاق** : تزامُن صدور «دفنا الماضي» مع صدور (ثلاثية) نجيب محفوظ دفع ببعض النقاد إلى البحث عن نقاط الالتقاء في العملين. وهناك من يعتبر أن (دفنا الماضي) سابقة عن (الثلاثية) خصوصاً وأنها نشرت عبر حلقات.. فهل لك أن تضيىء لنا ظروف كتابتك لـ (دفنا الماضي) من جهة، وأن تحدثنا عن الأسماء العربية والأجنبية التي تراها قريبة منك كقارئ وكمبدع من جهة ثانية ؟.

**عبد الكريم غلاب** : كتبت «دفنا الماضي» قبل أن أقرأ «الثلاثية». وأنا استغرب كيف يمكن المقارنة بينهما دون أن تمكن المقارنة بين المجتمع المغربي والمجتمع المصري. أما عن الأسماء فهي كل الأسماء التي قد تخطر على بال قارئ الرواية العربية : توفيق الحكيم، طه حسين ... ومع هذا، فمن الضروري القول : إن الرواية العربية ما ظهرت ظهوراً واضحاً إلا بعد نجيب محفوظ، أو إن هذا هو الذي أعطى للرواية كرواية بعدها الحقيقي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**آفـــاق** : عندما نرصد تجربتكم الروائية، وخاصة على مستوى المضمون، نجد أن هناك سيرورة ما تحكم هذه التجربة. ففي «دفنا الماضي» نجد تحولات الحركة الوطنية؛ وفي «المعلم علي» هناك محاولة للقبض على نشوء الحركة النقابية؛ وفي رواية «صباح .. ويزحف الليل» نجد الخيبة... فهل عالجتم هذه السيرورة بترصد معين ؟.

**عبد الكريم غلاب** : بدون شك حدث نوع من الترصد. ولذلك فمن رأيي أن على النقد أن يتناول التجربة في أبعادها كلها، دون الاقتصار على عمل واحد. ومن هذا المنظور أجد في تجربة عبد الكريم غلاب نماذج متعددة لعمل واحد. كما لو أن في ذلك مخططاً. إنه مخطط عالج في جزء منه «دفنا الماضي»، وعالج في جزء آخر شريحة أخرى من المجتمع كانت كامنة في «دفنا الماضي»، ووصل بالعمليْن معاً إلى فترة زمنية لعلها فترة ما بعد إعلان الاستقلال، وهنا تأتي مرحلة أخرى، قد تكون الصباح، وقد تكون الخيبة، لقد ظهرت شريحة اجتماعية جديدة حاولت تشويه الاستقلال، أو أن تجعل منه ذلك الليل الذي زحف على الصباح ولذلك أرى أعمالي الأربعة تصب في نهر واحد.

**آفـــاق** : علمنا أن رواية «دفنا الماضي» تُرجمت ترجمة أولى إلى الفرنسية وهناك ترجمة أخرى ظهرت في باريس.

**عبد الكريم غلاب** : لا، هي نفس الترجمة، لكن في الوقت نفسه قامت سيدة وهي أستاذة للغة الفرنسية بإنجاز ترجمة أخرى. فقد تلقيت منها قبل أيام رسالة تخبرني فيها أنها ترجمت فصولا كثيرة من الرواية، وترغب في نشرها. وأجبتها بأن ذلك سيكون عملا مكرراً، ومع ذلك فلا أمانع في نشرها بعد اطلاعي على الترجمة.

**آفـــاق** : أردت أن أقول إن الموافقة على الترجمة تمت بعد استشارتكم، وتأسيساً على سؤال سابق، ألا يمكن اعتبار هذه الترجمة بمثابة تذكير بلغة أخرى بنفس الشعور بالخيبة الذي صاحب مرحلة الكتابة، كأن نقول للقراء بالفرنسية من خلال الموافقة على ظهور الترجمة أن إحساسنا بالخيبة لا يزال مستمراً ؟.

**عبد الكريم غلاب** : ليس إلى هذه الدرجة، وفي الحقيقة فأنا لم أسع إلى هذه الترجمة. فالذي حصل هو أن المترجم اتصل بي وأبدى رغبته في ترجمة «دفنا الماضي» بعد أن قرأها وأعجب بها، فأخذ مني الإذن لإنجاز ذلك. وقد استغرق في عمله حوالي سنة ونصف ثم جاء بالنص واتفق مع جماعة من أصدقائه فقرأوه جماعيا وصادقوا عليه كلجنة للمراجعة. أردتُ أن أقول إن هذا الأمر ليس تكفيراً مني على ما تحدثتُ عنه، ولكنه حدث بمحض الصدفة تماما كما حدث في ترجمتها إلى الروسية. وحبذا لو أن أجود الإبداعات المغربية تمت ترجمتها إلى لغات أخرى. فنحن نترجم ونقرأ المترجمات فلماذا لا تترجم أعمالنا إلى اللغات الأخرى. وجميل أن أعمال نجيب محفوظ قد تُرجم معظمها وقُرئت من غير العرب، حتى لا يستمر الناس في الاعتقاد بأنه لا يوجد في اللغة العربية إبداع.

**آفـــاق** : تثير القراءات المتنوعة التي استهدفت أعمالكم القصصية والروائية أكثر من سؤال، سواء أنظرنا إليها من زاوية تسلسلها التاريخي عبر السبعينات والثمانينات، أم نظرنا إليها في سياق التعدد المنهجي وتنوع المقاربات ومتغيراتها. وهكذا، يمكن للمتتبع أن يلحظ مثلا وجود كتابات ذات توجه إيديولوجي والتي كانت تقيس العمل الأدبي بمقدار درجة الوعي التي يبثها المؤلِّف في كتاباته، وذلك حتى قبل النظر في قيمة هذه الكتابة من الناحية الفنية أو من حيث قيمتها الأدبية. وهناك كتابات ذات توجه حزبي تهتم بالبحث عن مظاهر الفكر الاستقلالي مثلا في عمل من أعمالكم الإبداعية، أو بتمظهرات فكرة معينة من قبيل التعادلية، الأرض لمن يحرثها، وسوى ذلك حيث يمضي الباحث في هذا الاتجاه إلى تشخيص الفكري والسياسي في المؤلَّف الإبداعي. وأخيراً يمكن الحديث عن أنماط الكتابات الجامعية التي يمكن أن نصفها بالبيضاء أو بالحيادية، والتي تصف النصوص دون أن تصدر حكم قيمة بصددها. أمام هذا التعدد والتنوع الذي طبع تجربة الكتابة النقدية حول أعمالكم، كيف تقومون حصيلتها ؟. وهل شكلت في يوم ما بالنسبة لكم مصدراً لإغناء تجربتكم الإبداعية وإخصابها ؟. هذا على فرض أنكم تطلعون عليها وتقرأونها بانتظام.

**عبد الكريم غلاب** : في الواقع إنني ابتهج بكل عمل تقييمي لأي عمل إبداعي، سواء أتعلق بإنتاجي أم تعلق بإنتاج الآخرين. فلماذا أبتهج ؟. لأنني أسمع الصدى، وربما كان الصدى عندي أهم من الصوت، لأن الصدي يؤكد حياة الصوت. ومهما يكن هذا الصدى موحشا أو جيداً أليفا فإنه بالنسبة لي إبداع آخر لأنه حياة. هناك عدد من الإخوة درسوا هذه القضايا جميعها، ودراستهم لها أشعرتني بأن هناك تجاوبا على كل حال، تجاوبا مع الآخرين يقومه الدارسون سلبا أو إيجاباً، وتجاوباً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع الأعمال المدروسة، وفي تقديري، ومثلما أقول دائما، فإن الذي سيدرس إبداعاً أو شخصية ما عليه أن يحيط بالظروف؛ فبعض الأشياء لم أقلها في «دفنا الماضي» قلتها في «المعلم علي» وكلاهما يكمل الآخر؛ وما لم أقله في كتاب إبداعي قلته في كتاب فكري أو تاريخي. وفي الحقيقة فالقلة من الإخوة هي التي قامت بدراسة شاملة لأعمالي، فهؤلاء يرونك بوصفك مبدعاً في صورك المختلفة، ولا يرونك في مرآة واحدة بل في جميع المرايا. وحتى أكون صريحاً فإن موقفي من هذه الدراسات هو أنني أُسَرُّ لكل عمل متكامل غير أني أحزن للعمل الناقص. فعندما يقرأ ناقد ما عملا أدبياً ويقدمه للمحاكمة، طبعاً وفق قانون يملكه، ويصدر عليه حكما معينا، فأنا أرتاح لهذا الحكم، لأن الشعب لا بد أن يرتاح للقضاة، والنقاد أحيانا قضاة، وعلى الواحد منا أن يجاريهم في ذلك. لكن، عندما يقدم الناقدُ العملَ للمحاكمة بدون قانون، وبدون أن يتيح له فرصة الدفاع عن نفسه، وبدون أن يكون منصفا ولا عادلا في دراسة الملف قبل إصدار الحكم فعندئذ يصبح الأمر محزناً، وهو محزن ليس لأن فيه طعناً في نص أدبي بل في شخص الدارس نفسه لأنه يعد نفسه ليكون أستاذاً أو معلم أجيال وهو يفتقد إلى العدل والإنصاف، إن الأمر محزن بالنسبة للدارس في الحقيقة، أما بالنسبة لي فمثل هذا الكلام عابر لا يغير فيَّ شيئا. ولعلكم على معرفة بالنماذج التي أفكر فيها.

كنت آتمنى للنقد بالمغرب أن يكون أحسن مما كان، ألاَّ يتسلح بالتوجه السياسي وهو في طبيعته متغير وعابر. إن تقويم العمل الأدبي انطلاقا من حكم مسبق ودون قراءته سلوكٌ لا ينتمي إلى الثقافة ولا إلى الفكر أو الأدب. لهذا كنت أتمنى للنقد أن يكون في وضعية أفضل من التي كان عليها ليس بالنسبة لي فحسب، بل بالنسبة لأعمال كتاب آخرين من مثل ربيع مبارك وعبد الله العروي ومحمد عزيز الحبابي ومحمد زفزاف وغيرهم؛ إن من يريد أن يكون إيجابيا في تقييماته عليه أن يَصْدُر في ذلك عن حكم عقلاني ومنطلق نقدي سليم خدمة للثقافة وللأدب والنقد لا خدمة للمبدع ضده أو معه. وعلى كل حال، فلكل حركة نقدية تعثراتها، ومن الممكن أن تخطئ كذلك. وعموما فالمرحلة التي سبقت ليست مهمة بالقدر الكافي في مستوى الكتابات النقدية، وعمَّا إذا كنت استفدت من هذا النقد أجيبك بأنني استفدت سلبا في بعض الأحيان وبصراحة لم استفد إيجاباً. وليس ذلك لأنني لا أرغب في الاستفادة، بل لأنني تعودتُ أن لا أتلقى دروساً من أحد، إنني لا أقبل أن يتمعلم علي أحد في أشياء لم يدرس قواعدها. من هنا لم أكن استفيد إيجابيا من ذلك النوع من النقد بل أحيانا يكون لذلك تأثير سلبي علي.

**آفـاق** : أشاطركم الرأي في أن مرحلة معينة احتكمت فيها القراءات النقدية والدراسات الأدبية إلى العنصر السياسي المباشر. وليس هذا بدْعاً، إنه من صميم سنن التطور الطبيعي الذي يتأثر بوتيرة الصراع المجتمعي ويتفاعل بشكل ما مع تناقضات هذا الصراع وأطرافه الفاعلة فيه. لكن، ومع ذلك، ألا يخامركم الشعور أحياناً بأنكم خلال فترة معينة أيضا ربما ابتعدتم قليلا عن الحضور في الملتقيات والمناقشات الأدبية والثقافية. مثلا، إنني أتابع وقائع الحقل الثقافي بشكل منتظم على امتداد الثمانينات، وما ألاحظه أنه قلَّما كانت الفرصة تتاح لأجيال القراء والدارسين لأن يجدوكم في هذه الملتقيات.

**عبد الكريم غلاب** : لا بد أن نعترف بكل شيء بما أننا في جلسة اعتراف. لقد مرت علي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الواقع فترة اعتبرتُ فيها، ربما مجازفة مني، أن الجوَّ غير صالح أو بالأحرى غير صحّي. فلم يكن يروقني أبداً أن آتي وأحضر في لقاء يساهم فيه نقاد من النوع الذي تحدثنا عنهم. لهذا ابتعدتُ نسبيا؛ غير أنني كلما شعرت بالحميمية اقتربت. وأنت رأيت أنني جئتُ إلى مراكش لأحضر لقاءً لم أكن أعرف من يشارك فيه، لكن، وبصراحة سألت سِّي عبد الجبار عن الإخوة الذين سيحضرون فعدَّلي أسماء المشاركين. وبالطبع حضرت في ندوة «سيرة الكتابة القصصية والروائية بالمغرب» في فاس، مع علمي بأن بعض من سيتحدثون لهم موقف عدائي مني، وقد كنت مع ذلك مستعداً للمواجهة. إنما ليس معنى هذا أنني ابتعدت بسبب موقف ولا بسبب مشاغل فأيام اضطلاعي بالمسؤولية في اتحاد الكتاب، وعندما كان الاتحاد ينظم بعض أنشطته المتميزة كنت أترك المشاغل لأذهب إلى الاتحاد. إنها إذن وعلى كل حال ظروف تمر.

**آفـــاق** : من المؤكد أنه في الوقت الراهن حصل تحول ملموس في تعامل النقد المغربي مع الآثار الإبداعية من زاوية الاهتمام أولا بقيمتها الأدبية والفنية وتقويمها بعد ذلك وإصدار أحكام نقدية بصددها تخص ناحية المضمون أو البعد الإيديولوجي، وقد ظهر مثل هذا التحول في أعمال العديد من الندوات ومنها الندوة المكرَّسة لأعمالكم والتي شهدتها فاس خلال شهر ماي 1991. هذا التحول العام هل يعود في رأيكم إلى حصول تغير إيجابي في مفهوم الأدب لدينا إن كان قد وجد في الماضي خلال الستينات مثلا مفهوم قائم للأدب ؟. أم هل إن التغيير طرأ على أساليب القراءة والمناهج المستوحاة في استنطاق النصوص ؟. أم هل إن التحول أصاب بالخصوص مستوى التأويل الإيديولوجي للأشياء ؟. فأين تلمسون هذا التحول الذي أدى إلى نوع من التفتح في الخطاب النقدي بالمغرب وطبعه بالمرونة والإيجابية ؟.

**عبد الكريم غلاب** : هذا التفتح الذي تحدثت عنه شعرت به من خلال القراءات أكثر مما شعرت به من خلال الندوات، فأنا أتابع القراءات بقدر ما تسمح الظروف. وهو تفتح ناشيء عن مرحلة النضج. ففي اعتقادي، ولا أدري إن كنت مصيباً أو مخطئاً، إن الحركة النقدية بالمغرب قد مرت بمرحلة التقبُّل، بما يعني، أن كل ما يكتب في الخارج أو في الداخل يؤخذ على أنه مسلمات وأن هناك وصفة عامة تؤخذ من كتاب صدر في فرنسا مثلا أو في انجلترا أو في أمريكا، وتُطبق على الإبداع المغربي وكأنها وحي يوحى. وهذا شيء طبيعي، فالقارئ عندما يبدأ في القراءة يَكون في مرحلة تقبُّل وهي بمثابة وعاء يوضع فيه كل شيء، ويتم تفريغه وإسقاطه على نصوص مختلفة دون تمثل أو تمييز من طرف النقاد. أما الآن فالحركة النقدية بالمغرب تمر بمرحلة النضج. ذلك أن النقاد أخذوا يتمثلون ما يقرأونه ويستوعبونه ويبدعون في كتاباتهم النقدية، ويبذلون في ذلك مجهودا ذاتيا، ولم يعودوا يترجمون فقط أو يكتفون بالنقل. في حين كانت عملية النقل والإسقاط هي التي تتحكم في إصدار الأحكام. وخلافا لذلك يبدوَ الآن أن الأمور بدأت تستقيم وينبغي الاعتراف بأخطاء الماضي.

**آفـــاق** : لدي تصور شخصي بصدد العلاقة بين حركة النقد الأدبي بالمغرب وبين الظرف السياسي لحقبة ما. ألا ترون أنه في فترة ما من تطور الأدب والثقافة بالمغرب، ولعلها الفترة الممتدة بين بداية الستينات ومفتتح الثمانينات، وقع اندماج بل وَتَمَاهٍ بين عناصر مختلفة تؤثر في حقل الأدب والثقافة ؟. وأقصد على وجه الخصوص هذا التداخل القوي بين السياسي والثقافي والذي أثار لمدة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزمن نقاشا خصبا عن الحدود بينهما، إن كانت هناك حدود ظاهرة أو كامنة تفصل ما هو ثقافي عما هو سياسي؛ فقد تأثرت حركة النقد الأدبي قبل الثمانينات بهذا التداخل، وتفاعلت بعمق مع أجوائه، واستمدت منه بعضاً من حيويتها وبعضا من أخطائها أو تعثراتها كذلك. فالأمر يتعلق إذن بخصائص فترة من فترات التطور التاريخي قبل كل شيء. وفي تصوري أن الحكم على هذه الفترة أو على أدبها ونقدها عليه أن يأخذ في الاعتبار واقعها الموضوعي. لذلك فالتطورات الحاصلة بعد السبعينات بقدر ما أظهرت الصورة على حقيقتها بقدر ما تحمل في طياتها أيضا تناقضاتها وربما تداخلاتها وتماهياتها الخاصة قد يكشف عنها المستقبل. وعندما نفكر في المغرب من هذه الزاوية يبدو لنا كما لو أننا نعيش في حالة تأرجح وعدم استقرار في الأفكار والتصورات وربما في السلوكات، فما رأيكم ؟.

**عبد الكريم غلاب** : في الحقيقة بلادنا تعيش مرحلة مخاض، ومخاض طويل مع كامل الأسف. فلماذا ؟. لأننا مصرون على أن نجرب ما جرَّبه الآخرون، أي أن نسير في نفس الخط وبنفس الخطوات وأن نستغرق نفس الوقت. فالحكم في بلادنا يجرب نفس التجارب الماضية التي قامت بها دول أخرى : السلطة المطلقة، العسف، القهر، القمع، تهميش المواطنين، بحيث إن الحكم كان يجرب هذه العملية بكل مظاهرها. الشعب نفسه بأحزابه السياسية على اختلاف وجهات النظر والممارسة كان كذلك يجرب عملية المقاومة وصد الصهد. فمرحلة المخاض هاته طالت واتخذت عدة أشكال : الستينات كانت هناك حالة الاستثناء والقهر؛ وجاءت سنتا 71 و 72 فتغيرت الأوضاع شيئا ما في المظهر على الأقل، فقد جاء تيار آخر وإن كان لا يختلف تماما عن التيار الذي ساد في الستينات فإنه كان على كل حال يحمل في الظاهر شيئا من الحرير وشيئاً من الحديدية ناعمة الملمس تقريبا. السبعينات مرت بانتخاباتها التي رأيناها وعشنا آثارها، وكانت الانتخابات مظهراً من مظاهر العبث، ولم تكن الثمانينات بأفضل من سابقاتها فقد جاءت هي الأخرى بنفس الشيء الذي نعيشه إلى الآن. فما أن بدأت الانتخابات تطل حتى وجدنا حزباً جديداً يتكون، ووجدنا الجمعيات تتحرك بشكل فوري ومفاجئ، عِيسَاوَه بْدَاوْ يْسَخْنُو البْنْدِيرْ قبل الوقت؛ كل هذا دليل على أن بلادنا لا تزال تعيش مرحلة المخاض. وإذا سرنا في هذا الطريق وبنفس هذه الوتيرة فمرحلة المخاض ستطول أكثر. لماذا ؟ لأننا لا نستفيد من الدورس.

لهذا فالقضية ليست تلقائية أو عفوية. إنها قضية صراع لا يزال موجوداً، دون أن يصل إلى التبلور بعد. إنه ليس صراعاً طبقيا ولا سياسيا بالمعنى السياسي الحقيقي، وليس صراعاً ضد الاستعمار ورواسبه، وليس صراعاً من أجل الوحدة أو من أجل الديموقراطية وتصحيحها فحسب، إنه بالأحرى صراع في كل الواجهات، فالبلاد لا تزال لا تعرف طريقها بعد. وهذا هو الشيء الخطير. ويبقى أن نتساءل عن موقف المثقف من هذا الصراع ؟. أعتقد شخصيا أن المثقف يجب أن يكون إيجابيا في هذا الصراع. أن لا يبقى فقط، ولنقل الكلمة بصراحة، تابعاً للأحزاب أو لاتجاه سياسي معين. فعلى المثقفين أن يكون لهم نوع من التميز في صراعهم وفي إبداء وجهة نظرهم وفي بناء المستقبل وكيفية رؤيته بكل مظاهره، في مجال الديموقراطية، وفي مجال السياسة وفيما يخص البناء الاجتماعي والاقتصادي... عليهم أن يعطوا أفكارهم وآراءهم. صحيح، إنهم يقومون بذلك من خلال أحزابهم السياسية أو من خلال الصحافة أو حتى من خلال قناعاتهم الخاصة، ولكن كطبقة متميزة، لا يزال المثقفون مقصرين أو دون الدور المنوط بهم، ولست أدري لماذا ؟.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**آفـــاق** : فعلا، هذا سؤال عميق وينبغي أن يطرح وبصوت عالٍ على المثقفين ومن جانبهم كذلك.

**عبد الكريم غلاب** : على اتحاد الكتاب أن يطرح هذه القضية ويعالجها. فالمثقفون لا ينبغي أن يكونوا محايدين ولا تبعيين ولا «حَشُومِيِّنْ» يعبرون عن أفكارهم فقط بالكتابة والمقالة والقصة أو القصيدة...

**آفـــاق** : إن الخطر لا يتمثل فقط فيما يمكن أو يوصف أحيانا بانعزالية المثقف أو بكونه لا يستطيع تارة أن يصوغ تصورات مستقلة عما هو حزبي أو حتى سياسي، ولكن الخطر يتمثل كذلك في تمكّن أجهزة السلطة من أن تستوعب بيسر، أو أن تبدأ في ذلك على الأقل، بعض المثقفين.

**عبد الكريم غلاب** : فعلا، هذا شئ خطير جداً، وإذا لم يقف المثقفون وقفة صامدة وواعية ومتميزة بنضاليتها، فإن التدجين والاحتواء سيصبحان هما القاعدة وفي ذلك ضرر كل الضرر على الثقافة ومستقبلها.

**آفـــاق** : نلاحظ أن الأجيال الجديدة من الكتاب والنقاد عندما تتحدث عن التاريخ الثقافي والأدبي للمغرب الحديث غالبا ما تميل إلى تحقيبه بحسب العقود، فتتحدث عن الستينات والسبعينات والثمانينات مثلا على أساس أن لكل عقد ظواهر تميزه وأسئلة تشغل بال المثقفين وخصائص يشترك فيها الكتاب أو التجارب. وبوصفكم من المتابعين لتطورات الوضع الثقافي ومن المؤثرين فيها على امتداد هذه العقود وقبلها، ما هي الأشياء الأكثر بروزا في سياق هذه التطوارت من وجهة نظركم ؟ وما هي الظاهرة الأساسية التي تستحضرها ذاكرتكم وتعتبرونها سمة مميزة للعقود المذكورة ثقافيا ؟.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**عبد الكريم غلاب** : أعتقد أن السمة المميزة لتلك العقود جميعها هي **نضالية الثقافة**، ذلك أنه كان من المفروض أو المتوقع بعد الاستقلال أن تصبح الثقافة تعليماً محضا يؤهل للدراسة والشهادة والعمل بعد ذلك، ليس غير. غير أنه تبين بالملموس أن الثقافة تجاوزت هذه الحدود وانخرطت في الحياة النضالية للمجتمع. هذه الظاهرة لم تختف حيث نلمس هذه النضالية على جميع المستويات، في الجامعة، وبين صفوف الطلبة والمثقفين والعاملين في الحقل الثقافي عموما. وكل عمل ثقافي في تقديري وبقطع النظر عن التدريس هو عمل نضالي. ولذلك فالشيء الذي انتصرت فيه الثقافة على نفسها مثلما انتصر فيه المثقفون في مجالهم هو أنهم لم يركنوا إلى الاستسلام، فهم موجودون في الساحة النضالية، وقد اختار بعضهم إلى جانب النضال الثقافي النضال السياسي ولذلك نجد أن الهيئات السياسية الجادة والمهمة أطرها معظمهم مثقفون لهم حضور ثقافي فعال، فهؤلاء يساهمون في النضال من أجل أصلاح التعليم ودمقرطة الثقافة، وفي النضال ضد الفرانكفونية وضد الانحرافات الفكرية، وفي النضال الفلسفي والإيديولوجي والمذهبي، ويمارسون إلى جانب ذلك الكتابة والإبداع بما يغني تجربتنا ويطورها. هذا كله يعطي للثقافة بالمغرب على امتداد العقود السابقة وقبلها حضورا متميزاً. ومن الطبيعي القول مع ذلك بأن هذا الحضور لا يزال محدوداً لعوامل كثيرة، منها قلة الأطر وضعف التأطير، ومنها المشاكل السياسية حيث يسود القمع أحياناً ويصبح عائقاً أمام حرية

الرأي والاجتهاد، ومنها أيضا حالة البؤس والفقر التي تجبر أحيانا بعض المثقفين على أن يفضلوا كسب القوت على المجازفة غير المحمودة العواقب. غير أن الظاهرة الغالبة هي أن المثقفين موجودون في الساحة وهي ظاهرة جيدة.

**آفـــاق** : في ارتباط مع نضالية الثقافة بالمغرب استحضر الآن كونكم كنتم من الموقعين على وثيقة «بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو واللغوي الاستعماري للمغرب العربي» بتاريخ شتنبر 1970. ماذا بقي من هذا البيان ؟ وألا ترون أن الأوضاع أصبحت تفرض تفكيراً معمقاً في موضوع من هذا القبيل ؟.

**عبد الكريم غلاب** : دون شك، لأن التعليم يتطور. ففي السبعينات كانت لدينا جامعة واحدة أو اثنتان. واليوم أصبح لدينا عدد كبير من الجامعات. والمهم هو أن كل شيء يتطور؛ وإذا كان هناك بيان أو ميثاق فهذا شيء له أهميته التاريخية. وأتذكر أيضا أنه في بداية الاستقلال كانت هناك اللجنة الوطنية للتعليم وكان أغلب أعضائها من الأوربيين وبعدها كانت هناك لجنة أخرى، وقد تمت عدة لقاءات عن التعليم. التعليم قطاع شديد التطور، وفي اعتقادي أنه في كل مرحلة من أربع سنوات يجب أن يكون هناك ميثاق جديد يراعي المستقبل، لأن المستقبل سرعان ما يتحول إلى حاضر. فلا يمكن لميثاق ينتمي لعشرين سنة مضت أن يكون صالحاً للوقت الراهن. ولهذا لا بد من إعادة النظر في السياسة التعليمية وتجديدها وفق مقتضيات التطور الحاصل.

**آفـــاق** : من موقعكم ككاتب وكمثقف وأساساً كقارئ لا شك أنكم تطلعون على ما يكتبه الشباب في مجالات الإبداع المختلفة وينشره إما في شكل كتب مستقلة أو على صفحات الدوريات والملاحق الثقافية. ترى، ما هو الانطباع الذي تتركه لديكم هذه الكتابة «الشابة» ؟ وهل تحسون أنها تفتح باباً أو أفقا جديداً بالنسبة لمسار الأدب المغربي الحديث ؟ أم هل ترون أنها تكرِّس تقاليد الكتابة كما مارسها الرواد ؟ وهل هناك أسماء أثارت انتباهكم خلال العقد الأخير ؟.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**عبد الكريم غلاب** : أعتقد أن الشيء المبشر بخير هو أن هناك جيلا جديداً يحاول أن يواكب مسيرة الأجيال المتعاقبة في المجال الأدبي والإبداعي. وما يميز هذا الجيل فيما أعتقد هو الشجاعة التي تثير الإعجاب حقيقة. وهي شجاعة محمودة، وبالرغم من أنها تقوم أحياناً على الإعجاب بالنفس فإنها تمنح الكاتب القدرة على المحاولة فيخطيء ويخطى حتى يدرك الصواب وهكذا يتكون الأديب، وبدون شك فإن العديد من هؤلاء الشباب تكونوا بهذه الكيفية، وما يثير في نفسي الغبطة فيما أقرأه لهم هو هذه الجدية في العمل فضلا عن الشجاعة، فالواحد منهم يكتب شيئا ربما لا يستحق النشر، ولكنه لا يخجل من نشره وتوقيعه باسمه والافتخار به.

يضاف إلى ذلك تشبثهم باللغة العربية والحرص على التعبير السليم، ثم إنك تحس بان لغتهم هي نتيجة قراءة ومجهود، فاللغة العربية لا يمكن لأحد أن يقرأها ويعبر بها إذا لم يكن يمارس القراءة بجدية. وهذا على الرغم من أن مضامين الكتابة وأشكالها لديهم لا تزال مهزوزة ولا ضير في ذلك، خاصة وأن بعض الواعدين من الشباب ممن ظهروا على صفحات الجرائد تطوروا من واعد إلى منتج فعلي له عطاء. وفي المسابقة التي نظمها اتحاد كتاب المغرب خير مثال على ذلك حيث إنها أبرزت

كتابا جيدين تماماً من الشباب. وقد كانت الدورة الأولى موفقة تماما وستغني الحقل الأدبي بالتأكيد، وتحفز الأدباء الشباب على الاستمرارية والجدية وهما السبيل نحو الصواب وتجاوز الأخطاء.

**آفـــاق** : الأستاذ غلاب، نحيي فيك أولا الجرأة والوضوح، وثانيا سعة صدرك وكونك تتيح الفرصة للقراء كي يواصلوا عبر الحوار التفكير المترابط والشمولي في مختلف جوانب التاريخ الاجتماعي والثقافي ومراحله المتتالية بالمغرب الحديث. ونود منك كلمة لا تكون ختامية لهذا اللقاء المثمر، بقدر ما تجعل منه أفقاً مفتوحاً على مستويات أخرى من الحوار والتواصل نأمل لهما العمق والاطراد.

**عبد الكريم غلاب** : شكراً. في الواقع لا أكتمكم أنني معكم وجدت نفسي في عائلتي، لأن الحوار الثقافي عموماً والأدبي خصوصاً هو عائلتنا ننتمي إليها جميعاً، ويشعر الإنسان أنه في مثل هذا العمل يجد نفسه يرتاح تمام الراحة. وقد كنت معكم ربما صريحاً أكثر من اللزوم أو ربما كما يجب أن تكون الصراحة. ومع ذلك فهذا هو طبعي، إذ لا أحب أن أخفي شيئا عن إخواني وأصدقائي.

وأنتهز هذه الفرصة لأؤكد للإخوة في اتحاد الكتاب أن رسالة الاتحاد هي رسالة حوار. فهو لم ينشأ كنقابة للدفاع عن خبز الكتاب، وإلا لما أكلوا خبزاً، وكان سيكون فاشلا من اليوم الأول لو سلك هذا الاتجاه. لكن الاتحاد أنشئ ليخلق مناخاً ثقافيا ببلادنا. ففي البلدان الأخرى نجد أن المناخ الثقافي يتشكل من ندوات واجتماعات تعقد في المنازل والمقاهي والمنتديات. وهي لقاءات ربما تتم بتلقائية ومع ذلك تكون منتجة. أما بالمغرب فليس هناك من يخلق هذا المناخ إلاّ اتحاد الكتاب، وقد أنشيء في الظروف التي تعرفونها ومر بمراحل صعبة تعرفونها أيضا، وما يزال دون شك يواجه صعوبات أخرى. ولذلك فرسالته ليست فقط لتأكيد وجود الكتاب أو لتأكيد وجوده كاتحاد أو ليعقد مؤتمرات ويحضر في أخرى، ولكن رسالته هي أن يخلق الحوارات، وهي تعطي في الحقيقة عطاء لا حدود له وقد لا نقدّره حق قدره ولكننا نحس بنتائجه إذا ما استمر. ولذلك أعتقد أن الحوارات المفتوحة ليس ضروريا فيها أن تكون من النوع التكريمي، ولا من النوع الذي يقتصر على الندوات المخصصة لموضوع معين كالقصة أو الرواية أو الشعر. بل ينبغي أن تتسع آفاق الحوار لتشمل ما هو أعم وأكثر انفتاحاً على هموم المجتمع وقضاياه.

**الرباط 19 يونيو 1991**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com